

ظاهرة تعاطي المخدرات في الوسط الطلابي الجامعي

دراسة ميدانية بالأحياء الجامعية بتلمسان

مدان محمد

أستاذ مكلف بالدروس بقسم علم الاجتماع

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

إن تعاطي المخدرات بات يطرح تساؤلا حقيقيا عن مدى انتشار هذه الظاهرة، لما تمثله من خطر على مستقبل الشباب، حيث لم يعد التعاطي مقصورا على الفئات المهمشة فقط، بل تعداه إلى مختلف الفئات الاجتماعية بما فيها الفئة المثقفة، خاصة الوسط الطلابي الجامعي. ذلك لأن انتشار هذه الظاهرة واستفحالها في الأحياء الجامعية أصبح أمرا حقيقيا يفرض وجوده على أرض الواقع. فما هي الظروف الاجتماعية والنفسية التي تحيط بالطلاب الجامعي عندما يلجأ إلى تعاطي المخدرات؟ وهل تمكنت الظاهرة من احتواء نسبة كبيرة من الطلبة؟ من خلال هذا الطرح يمكن صياغة تساؤلات البحث على النحو التالي:

- هل ظاهرة التعاطي رهينة الظروف الاجتماعية والنفسية؟
- هل أصبح الطالب الجامعي لا يحس بفاعليته ولا بوزنه في الحياة؟
- هل أصبح طلاب الجامعات يطلبون من التعاطي أن يخرجهم من حالة الوعي التي يواجهون فيها مشاكلهم كالإخفاق في تحمل المسؤوليات الاجتماعية أو الأزمات العاطفية أو الإخفاق في الدراسة.

- هل أصبح التعاطي مظهرا من مظاهر الرفض لمجتمع لا تطيب فيه الحياة؟

سوف نحاول الإجابة على هذه التساؤلات من خلال دراسة ميدانية أجريت على طلبة الأحياء الجامعية بمدينة تلمسان خلال الموسم الدراسي 2003/2004. كما سوف نحاول رصد بعض الاقتراحات والحلول للقضاء على ظاهرة تعاطي المخدرات في الوسط الطلابي، متبعين في ذلك الخطوات التالية:

I- الخطوات المنهجية لإعداد البحث الميداني :

اعتمدت الدراسة الميدانية على الخطوات المنهجية التالية:

1- منهج البحث:

من خلال المشكلة المطروحة في هذا البحث، فإن المنهج الوصفي يبدو هو الأكثر ملائمة لأنه عبارة عن مسح كامل للظواهر الموجودة في جماعة معينة بغرض كشف الأوضاع القائمة والاستعانة بما يصل إليه في التخطيط للمستقبل.

2- عينة البحث:

اخترنا عينة البحث بطريقة عشوائية وذلك من خلال توزيع 250 استمارة تمثل 10% من مجتمع البحث المقدر 2500 طالب.

3- مجالات البحث:

فيما يخص المجال الزمني لقد دامت عملية جمع الاستمارات 36 يوما من السنة الدراسية 2004/2003. أما فيما يتعلق بالمجال المكاني، قمنا بتوزيع الاستمارات بالإقامتين الجامعتين للذكور (البشير الإبراهيمي ومحمد بلميمون). أما بالنسبة للإقامة الأولى فتستوعب 2000 طالب، أما الثانية فطاققتها الاستيعابية 5000

4 - الأساليب الإحصائية لمعالجة النتائج:

استخدمنا النسبة المئوية كأسلوب إحصائي لمعالجة النتائج المتحصل عليها كمؤشرات كمية دالة تساعدنا على التفسير والتحليل والتأويل والحكم.

5- أداة البحث:

بما أنه تعذر علينا الحصول على أداة خاصة لدراسة ظاهرة تعاطي المخدرات وبما أن طبيعة البحث تفرض ذلك، استعملنا تقنية الاستمارة. ونظرا لحساسية الموضوع تعذر علينا في بادئ الأمر حصر العينة، الشيء الذي دعانا إلى الاستعانة ببعض الطلبة من أجل توزيع عدد أكبر من الاستمارات. اشتملت الاستمارة على 35 سؤال مقسمة إلى 5 محاور:

- بيئة الطالب المتعاطي
- خصائص الطالب المتعاطي
- واقع الطالب المتعاطي

- أسباب تعاطي الطالب الجامعي

- علاج الظاهرة كما يراها الطلبة

II- عرض وتحليل نتائج البحث:

سوف نختصر في هذه المداخلة على عرض وتحليل النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، لأن المقام لا يسمح لنا بعرض كل البحث، وقبل التطرق إلى تحليل نتائج محاور البحث السالفة الذكر لابد علينا من ذكر بعض الاستنتاجات العامة الضرورية للبحث:

- أثبتت نتائج تحليل الاستمارة أن 20% من أفراد العينة يتعاطون المخدرات أو سبق لهم تعاطيها، أي 51 طالب من بين 250 طالب عدد أفراد العينة. هذه الشريحة من الطلبة المتعاطين للمخدرات هي التي نعتمد عليها في تحليل نتائج البحث، لأن كل محاوره انصبت عليها.

- صرح 91% من أفراد العينة بأن ظاهرة تعاطي المخدرات في الوسط الطلابي تأخذ منحى تصاعديا.

بيئة الطالب المتعاطي للمخدرات:

من خلال النتائج المتعلقة ببيئة الطالب المتعاطي للمخدرات، وانطلاقا من الجداول التي قمنا بترتيبها، نلاحظ من خلال الجدول رقم 4 أن نسبة كبيرة من أفراد العينة المتعاطون للمخدرات يقطنون بمناطق تربطها حدود مع المغرب (تلمسان - مشرية - بشار - البيض) أي 83.2%. وذلك لأن المغرب يعد من أهم الدول المنتجة للمخدرات، مما يجعل هذه المناطق أهم المنافذ التي يستعملها مهربي المخدرات، وحسب المصالح المختصة تستقبل الجزائر سنويا كميات هائلة من إنتاج المغرب من الحشيش والمقدر بـ 250 طن، حيث يسوق جزء هام داخل الوطن بينما يصدر الباقي إلى الأسواق الخارجية. (1)

- أما فيما يخص الجدول رقم 5 نلاحظ أن أغلبية الطلبة المتعاطين للمخدرات يقطنون في تجمعات سكنية ثانوية (ريفية وشبه حضرية) وذلك بنسبة مئوية تقدر بـ 60.8% ولقد فوجئنا بهذه النسبة لأننا كنا نعتقد بأن الريف الجزائري بعيد عن هذه الأمراض الاجتماعية بحكم الروابط الاجتماعية القوية. كما أن هذه النتيجة تتناقض مع أغلب الدراسات وخاصة دراسة الباحث الأمريكي إزيدور تشاين الذي توصل إلى أن ظاهرة

تعاطي المخدرات تعرف انتشار واسعاً في المدينة.

- من خلال الجدول رقم 06 يتبين لنا أن الطلبة المتعاطين للمخدرات ينحدرون من أسر يقل أو ينذر فيها تعليم الأولياء إذ بلغت نسبة الأمية عند الآباء 49% أما عند الأمهات 51%.

ولعل هذا المؤشر يعد ضعيفاً من جملة الأسباب التي تدفع بالأنباء إلى الانحراف، إلا أننا لا ننكر فاعليته حين التطرق إلى جهل الأولياء للحالة النفسية المعقدة للمراهق، الذي يحاول إثبات ذاته من أجل تحقيق استقلالته، وإذا قوبلت هذه الرغبة بضغط احتوائي اجتماعي قوي بفعل القيم المتصلبة، حتماً سيؤدي إلى انحراف الطاقة النفسية عن سياقها السوي⁽²⁾ مما يدعو المراهق إلى سلوكات سلبية من أهمها تعاطي المخدرات.

- كما يتبين لنا من خلال الجدول رقم 07 أن الظروف الاجتماعية لأسر الطلبة المتعاطين في غالبيتها تتميز بالتفكك الأسري 60.8%، وأن طبيعة هذا التفكك يترتب على النحو التالي: (وفاة كلا الوالدين، وفاة أحدهما، تكرار الوالد للزواج، انفصال الوالدين).

وذلك لأن التفكك الأسري يلعب دوراً أساسياً في انحراف الأبناء الذين يعانون من اضطرابات ناتجة عن نقص حنان الوالدين، مما يولد لديهم فقدان الثقة وضعف الذات، مما يؤدي إلى الانحراف في إشباع الدوافع والحاجات.⁽³⁾ هذا كله يترجم في الأخير في سلوكيات منحرفة أهمها تعاطي المخدرات. أما من خلال الجدول رقم 09 فيتضح لنا أن نسبة البطالة جد مرتفعة في أسر أفراد العينة، إذ بلغ متوسط العاطلين عن العمل ثلاث أفراد لكل أسرة ولعل هذا راجع إلى قلة فرص العمل مقارنة مع محدودية سوق الشغل في الجزائر. كما يبين الجدول 11 وجود عجز في المرافق الثقافية والرياضية في المناطق التي يقطنها الطلبة المتعاطين للمخدرات.

خصائص الطالب المتعاطي للمخدرات

جاءت نتائج الدراسة في هذا المجال كما يلي:

- من خلال الجدول رقم 12 يتبين لنا أن معظم الطلبة المتعاطين لهم أقدمية إذ بلغت مدة إقامة هؤلاء الطلبة في الأحياء الجامعية 5 سنوات. وما يزيد في تأكيد طول مدة هذه

الإقامة هو ما ورد من نتائج الجدول رقم 13، إذ تبين معدل سن أفراد العينة 24 سنة وإذا ما قارنا هذا الأخير بالسن الذي من المتوقع أن يغادر فيه الطالب الإقامة، سنجد فترة إقامة أغلب أفراد العينة المتعاطين تزيد بعامين بالنسبة لطلبة شعب العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما تزيد بعام واحد بالنسبة للشعب العلمية. ويتضح هذا جليا من خلال الجدول رقم 14 إذ تبين لنا أن 68.6% من أفراد العينة من المعيدين، ومن هذا المنطلق يبرز دور المخدرات كعامل يساهم في فشل الطالب دراسيا، حيث يهمل المتعاطي أبسط واجباته وفقا لحالة الكسل التي تلازمه وتسمح طموحه فتجعله عرضة للفشل والتقهر⁽⁴⁾.

- أما من خلال الجدول رقم 16 يتضح لنا أن 81.4% من الطلبة الذين يتعاطون المخدرات يدرسون بشعب العلوم الإنسانية والاجتماعية، أما 18.6% بالشعب العلمية.

ولعل هذا يرجع إلى الحجم الدراسي في التخصصات الاجتماعية والإنسانية الذي يتميز بكثرة أوقات الفراغ وعدم استثمار الطالب الجامعي على العموم لأوقات فراغه في ممارسة النشاطات الرياضية والثقافية سيؤدي هذا حتما إلى انتهاج سلوكات وممارسات سلبية منها تعاطي المخدرات. أما الأوضاع في الشعب العلمية تختلف عن مثيلاتها في العلوم الاجتماعية، حيث يمتاز الحجم الساعي بتراكم الدراسة بشكل مكثف هذا فضلا عن صعوبة استيعاب الدروس المعقدة، مما يؤدي بالطالب إلى الملل من الدراسة. مما يدعوه إلى البحث عن البديل الذي يتجسد في كثير من الأحيان في انجذابه نحو العديد من التيارات من بينها تعاطي المخدرات.

واقع الطالب المتعاطي للمخدرات

جاءت نتائج الدراسة كما يلي:

- من خلال الجدول رقم 16 تبين أن ظاهرة تعاطي المخدرات تعرف انتشارا واسعا على مستوى الطلبة، حيث أكد 88.2% من مجموع حالات العينة على استفحال الظاهرة في الوسط الطلابي.

- من خلال الجدول رقم 15 يتجلى أن 94.1% من الطلبة المتعاطين لهم رفاق يشاركونهم تعاطي المخدرات، ومن خلال هذه النتيجة يتبين لنا الدور الذي تلعبه جماعة الرفاق

في التأثير على نوعية سلوك الفرد. وأهم ما يميز الفرد داخل مجموعة الرفاق هو شعوره بالقوة داخلها فتحميه قوانينها ويشعر بالضعف خارجها، ومجموعة الرفاق في هذا الصدد هي قضية اجتماعية أكثر منها نفسية. (5)

- من خلال الجدول رقم 18 يتضح أن 84.394.1% من الطلبة الذين يتعاطون المخدرات تربطهم علاقة وطيدة بمجموعة الرفاق في نفس الغرفة من الحي الجامعي. إن هذه النتيجة تدعونا إلى افتراض أن تعاطي المخدرات أصبح سلوكا اجتماعيا مقبولا لدى غالبية الطلبة المقيمين وذلك لانتشار هذه الظاهرة في الوسط الطلابي.

- من خلال الجدول رقم 19 يتبين أن 80.04% من الطلبة المتعاطين اكتسبوا تعاطي المخدرات من مجموعة الرفاق في الأحياء الأصلية التي يقطنون بها مقابل 19.6% اكتسبوها في الحي الجامعي.

وهذا مؤشر على أن ظاهرة تعاطي المخدرات دخيلة على الوسط الجامعي، وأن الحي الجامعي لا يعد بؤرة أساسية لانتشار الظاهرة.

أسباب تعاطي الطالب للمخدرات وأثارها عليه

أسباب تعاطي المخدرات:

هناك أسباب ودوافع متفرقة تجعل الطلبة يقبلون على تعاطي المخدرات، ومن أهمها حسب الطلبة المستجوبين:

- يرى 26.9% من الطلبة المتعاطين أن المشاكل العاطفية سبب إدمانهم عن المخدرات، وهذا يرجع أساسا إلى فشل الطالب أو عجزه في إقامة علاقة عاطفية مع الجنس الآخر، حيث اكتمال النضج الجنسي والوجداني للمراهق يعزز رغباته ومطالبه النفسية التي تطفو في كثير من الأحيان في شكل عواطف جياشة. ولما كانت هذه الرغبات والحاجات تقابل بقمع المجتمع واحتوائه لها، يجعل الطالب يتخبط في صراعات نفسية حادة، الشيء الذي يدعوه إلى البحث عن وسائل تخرجه من هذه الدوامة، والتي تتجسد في كثير من الأحيان في تعاطي المخدرات.

- كما عبر 14.8% بأن سبب إقبالهم على تعاطي المخدرات يرجع إلى الافتقار إلى الموارد المالية، ولهذا العامل أثر بليغ في انحراف الفرد، والطالب الجامعي باعتباره أحد أفراد

المجتمع يدفعه الفقر إلى ارتكاب بعض السلوكيات المنحرفة كالسرقة وتعاطي الخمر والمخدرات.

- كما أشار 33% من الطلبة أن سبب تعاطيهم للمخدرات يرجع إلى عدم توفر وسائل الترفيه، ولهذا الجانب أهمية كبيرة خاصة إذا تعرضنا إلى واقع الإقامات الجامعية في الجزائر.

- كما أن هناك بعض الأسباب الثانوية لتعاطي المخدرات كالمثل من الدراسة 12.9% والفراغ القاتل 10.2%.

- في حين هناك من أرجع سبب تعاطيهم للمخدرات إلى بعده عن أهله وحنينه إليهم.

* آثار تعاطي المخدرات على الطالب:

جاءت النتائج في هذا المجال حسب رأي الطلبة المتعاطين من خلال الجدول رقم

22 كما يلي:

- يؤثر سلبا على المستقبل الدراسي للطالب كالرسوب والتأخر الدراسي 20.5%.

- ضعف الذاكرة وكثرة النسيان والشرود الذهني 27.8%.

- الإحساس بالقلق والخوف والميل إلى العزلة 24%.

وقد أكد الطب العقلي هذه النتائج، حيث يرى من أهم أضرار الإدمان عن المخدرات وفقدان الاتزان البدني والعاطفي، ضعف القدرة على الحكم السليم للأمر، اختلال القوى العقلية وقد تظهر أعراض الانقصام الذهني، الغيبوبة والوفاة. (6)

- أما من خلال تحليل الجدول رقم 23 اتضح لنا وجود اتجاه قوي لدى الطلبة المتعاطين للمخدرات نحو ترك هذه العادة السيئة وقد أكد اتجاه حوالي 88.2% من الطلبة المتعاطين أنهم حاولوا الإقلاع عن تعاطي المخدرات.

علاج ظاهرة تعاطي المخدرات كما يراه المتعاطون

قبل أن نختم دراستنا طرحنا تساؤلا لأفراد عينة البحث حول قناعتهم في علاج مشكلة تعاطي المخدرات، وقد جاءت نتائج الإجابة كما أوردها الجدول رقم 25 كما يلي:

- إنشاء مرافق رياضية وثقافية وترفيهية بنسبة 27.5%

- الإكثار من الحملات التحسيسية حول خطورة هذه الظاهرة على الفرد وانعكاساتها على المجتمع 25%.
 - تجنب رفاق السوء 17.5%.
 - فرض الرقابة الشديدة من قبل الجهات الأمنية على الأماكن التي يتردد عليها المتعاطون 13.4%.
 - المتابعة الشديدة من قبل الأسرة في مراقبة الأبناء والاستعانة بأخصائيين نفسانيين 8.6%.
 - تطهير نقاط بيع هذه المواد وأحكام المراقبة عليها 8%.
- وفي الأخير ورغم حجم ظاهرة تعاطي المخدرات التي لا يمكن لباحث واحد التطرق إليها وإيفائها حقها من البحث. إلا أننا حاولنا إحاطة الظاهرة في الوسط الطلابي الجامعي من كل الزوايا سواء تلك المتعلقة ببيئة الطالب المتعاطي أو تلك المرتبطة بالطالب في حد ذاته. كما حاولنا البحث عن بعض الأسباب وتأثير الظاهرة على الشباب، ثم قمنا برصد بعض الحلول والاقتراحات لعلاج هذه الظاهرة كما يراها الطلبة المتعاطون. ونتمنى أن نكون قد فتحنا باباً لدراسة هذه الظاهرة.

الهوامش

- 1- مجلة الجيش، العدد 443، جوان 2000، ص25.
- 2- محمود الورداني، مدخل إلى الطب النفسي وعلم النفس المرضي، دار الحداثة، بيروت، ط 1. ص133.
- 3- حسن فتح الباب وسمير عياد، المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2- ص24.
- 4- نفس المرجع، ص 34
- 5- أمين رويحة، ولذلك هذا الكائن المجهول، دار القلم، بيروت، ص 347.
- 6- المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية، مرجع سابق، ص49.